جامعة أبو بكر بلقايد - تلمسان - قسم التاريخ
أستاذ المادة: د/ سمير مزرعي السنة الثانية ليسانس

المحاضرة الثالثة: مصادر تاريخ الجزائر في العصر الوسيط

1/ كتب الرحلات الجغرافية:

1- كتاب المسالك والممالك لأبي عبيد البكري (ت 487هـ/ 1094م): هو من أشهر الجغرافيين في بلاد الأندلس ولد في.....وأهم مؤلفاته كتاب "المسالك والممالك"، ومع أن الكتاب هو كتاب رحلة جغرافية غير أنه يحتوي على الكثير من المعلومات التاريخية المهمة، فقد تتلمذ على يد العذري وابن عبد البر في قرطبة، وعمل في بلاطات الأمراء، حيث عمل سفيرا لأمير ألمرية، كما قام بمهمة ديبلوماسية مع حاكم إشبيلية "المعتمد بن عباد"، ولما فتك به المرابطون رجع إلى قرطبة متفرغا للمطالعة والتأليف، رغم ميله للخمر والمجون، فقد كان جغرافيا واسع الاطلاع وعالم نبات دقيق متمكن، وما يهمنا من كتاب "المسالك والممالك" هو الجزء المتعلق بالمغرب الإسلامي والذي يحمل عنوان: "المُغرب في ذكر بلاد أفريقية والمَغرب" وقد اعتمد بشكل كبير على كتاب المؤرخ "محمد بن يوسف الوراق" الذي يحمل نفس الاسم "المسالك والممالك".

وتكشف الكتاب عن معرفة البكري العميقة بطرق القوافل الممتدة عبر شمال الساحل المتوسط، وتلك التي تخترق الصحراء الكبرى نحو بلاد السودان جنوبا، وبينت الأبحاث في المواقع الأثرية الصحراوية والإفريقية سلامة معلومات البكري عن العمران ومسالك الطرق والقوافل والمسافات بين الآبار والمحطات التجارية.

2- كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للشريف الإدريسي: كان تأليف هذا الكتاب تلبية لدعوة ملك صقلية روجر الثاني (1095-1154م)، الذي دعاه ليضع له صورة للأرض للوقوف على حقيقة العالم، وكان تأليفه في المائة السادسة للهجرة، وقد استغرق الإدريسي لإنجاز هذه المهمة خمس عشرة سنة، استفاد خلالها من كتابات الجغرافيين اليونانيين والعرب الأوائل، وقام بتقسيم العالم إلى سبعة أقاليم، معتمدًا فيها على خريطة بطليموس بعد تصحيحها، كما أنه اعتمد على المشاهدة الشخصية من خلال زيارته للأندلس، وشمال إفريقية ومصر وبلاد الشام، وكذلك آسيا الصغرى، وأجزاء من أوروبا الغربية وسواحل إنجلترا وفرنسا وإيطاليا وصقلية، كما أنه استعان في استقاء معلومات دقيقة بمقابلة بعض التجار والرحالة والبحارة والعلماء العارفين بغرض التأكد من سلامة المعلومات، كما أنه اعتمد على بعض الرحلات الاستكشافية التي دعما روجر الثاني بكل الوسائل المادية والمعنوية، وما يمتاز به منهج الكتاب هو أن الإدريسي يوجز في وصف البلدان ويكثر القول في ذكر المسافات، ولا يهتم كثيراً بالأحداث التاريخية.

3- الروض المعطار في خبر الأقطار لمؤلفه أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الصنهاجي الحميري السبتي (ت726هـ/1326م): لقد استقى أغلب معلوماته عن الأندلس من البكري والإدريسي، وهو عبارة عن موسوعة جغرافية لأهم المدن والأقاليم والأمصار ويصفها على الترتيب الأبجدي مع ذكر تاريخها وما ما شهدته من أحداث تاريخية، فهو يحدد مواقع المدن المشهورة في بلاد المغرب الإسلامي والأندلس، وذكر أهم المجتمعات التي استوطنت فيها وسماتهم وخصائلهم، وبعض المتفرقات التي تخص

إنتاجاتهم الأدبية والثقافية وغيرها، وكان منهجه في تأليف هذا الكتاب على وصف المدن وترتيبها ترتيبا أبجديا على شكل معجم، واكتفى بذكر الأماكن والمدن والأمصار المشهورة، أو الأماكن التي اتصلت بها قصة أو حدث تاريخي بارز، وقد جل معلوماته من بعض الكتب الضائعة التي لم يفصح عنها، أو من خلال مشاهداته وملاحظاته الدقيقة التي يدونها.

2/ كتب النوازل الفقهية:

1- المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والمغرب للونشريسي (ت 914هـ/ 1508م): يعتبر كتاب المعيار الذي يحتوي على 13 مجلدا وثيقة تاريخية مهمة تساعد على فهم طبيعة الحياة الاجتماعية في بلاد المغرب الإسلامي، وربما مختلف النوازل التي ضمها الكتاب هي ما تجعلنا نستشعر ذلك ونفهمه، فهي كانت تعالج الواقع الذي كان يحياه المجتمع آنذاك بجميع تفاصيله، وتسلط الضوء على المستجدات التي كانت تطرأ عليه في شكل مشاكل يومية تحتاج فتاوى فقهية وشرعية تتوافق مع القيم الدينية والاجتماعية والأخلاقية التي كانت تحكم المجتمع، فالموسوعة جمعت فتاوى المتقدمين والمعاصرين له من علماء المذهب المالكي، فهو يتناول بعض النوازل والفتاوى التي لم ترد في المصادر السابقة كونه جاء متأخرا عنها، وبذلك تغطي تُغطي نوازل الونشريسي تراثا فقهيا وإنتاجا فكريا لمدة ستة قرون بداية من القرن الثالث الهجري إلى غاية القرن التاسع الهجري.

2- الدرر الكامنة في نوازل مازونة لأبي زكرياء يحيى المغيلي التلمساني (ت 883هـ/1478م): يعالج المغيلي في هذا الكتاب مسائل وقضايا تتعلق بمجتمع المغرب الإسلامي والمغرب الأوسط خصوصا، فإضافة إلى فتاويه الشخصية؛ يعرض المازوني كذلك فتاوى لعلماء تلمسان وبجاية وتونس وفاس ومليانة، فهو يعرض في القضية الواحدة آراء عدة فقهاء ويبدي وجهة نظره في المسائل المطروحة، وقد صرح الشيخ المازوني أن سبب تأليفه لهذا الكتاب هو كثرة المسائل والشكاوي والنوازل التي كانت تفد إليه من مختلف المدن والأمصار كونه كان قاضيا، وما كان له من مذاكرات مع مختلف المشايخ والعلماء، فأراد أن يجمع ذلك في مصنف يتألف من مقدمة وتسعة عشر فصلا على شكل أبواب الفقه، كل باب يحتوي على مجموعة من المسائل.

3- نوازل البرزلي لأبي القاسم أحمد بن محمد البرزلي (ت841هـ/ 1438م): يعد كتاب الفتاوى للإمام البرزلي المسمى بـ: (جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام) من أهم كتب الفتاوى والنوازل عند المالكية المتأخرين، فهو موسوعة فقهية، حوت كما هائلا من المسائل الفقهية، ويزخر هذا الكتاب بمعلومات في غاية الأهمية عن مجتمع المغرب الإسلامي في النصف الأول من القرن 9هـ، بحيث يوفر لنا وصفا دقيقا للواقع الاجتماعي آنذاك، وأهم المسائل الفقهية والعقائدية والأخلاقية التي تنظم تسير علاقات الأفراد مع بعضهم البعض، من خلال تحديد الواجبات والحقوق والواجبات وتبيان الحلال والحرام وأحكام الجزاء والعقاب، بما يتوافق مع أحكام الشرع الإسلامي والأعراف المتفق عليها.

3/ كتب الحسبة:

1- ثلاث رسائل في آداب الحسبة والمحتسب: لقد ضم ليفي بروفنسال في دراسته لوظيفة الحسبة والمحتسب ثلاثة رسائل: فالأولى بعنوان رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة لمؤلّفها إبن عبدون محمد بن أحمد التيجيبي، والثانية بعنوان "رسالة في آداب الحسبة والمحتسب" لمؤلفها ابن عبد الرؤوف أحمد بن عبد الله، والثالثة بعنوان "رسالة في الحسبة" لمؤلفها الجرسيفي عمر بن عثمان بن العباس.

وقد أفادتنا هاته الرسائل بمجمل مواضيعها في تكوين فكرة شاملة عن الأوضاع الاجتماعية والأخلاقية التي كانت تمرّ بها الأندلس خلال عصر ملوك الطوائف، بحيث أنّها كشفت لنا عن كثير من الظواهر الاجتماعية السلبية التي صاحبها الانحلال الخلقي وانهيار القيم التربوية والمبادئ الأخلاقية، كما أنها كشفت لنا جانبا مظلما للنّظام الإقطاعي وفساد النظام المالي من خلال معالجتها لأنواع المعاملات التجارية وتكوين ثروات الطبقات الأرستقراطية، وبناءا على هذه المادة الخصبة قدمنا طرحا جديدا تمثل في عنصرين هما: "من الإختلاف إلى التفاوت" و "إشكالية الأخلاق وجدلية المجتمع المتغير" في الفصل الثاني.

2-كتاب في آداب الحسبة: هو كتاب يدخل ضمن كتب الحسبة لمؤلفه أبي عبد الله محمد بن أبي محمد السقطي المالقي الأندلسي، فهو يلقي الضوء على مختلف الجوانب الاجتماعية و الاقتصادية الأخلاقية التي كانت تعيشها مختلف شرائح المجتمع الأندلسي، فمن خلاله تمكنا من تقييم المستوى المعيشي لفئات المجتمع البسيط، إذ يقدم لنا صورة عامة عن الأجرة اليومية لمختلف أصحاب المهن والحرف البسيطة، كما أنه يركز على الجوانب التربوية فهو يتطرق إلى بعض الإقترافات اللاأخلاقية التي طبعت المعاملات التجارية، في وقت كان دور المحتسب الحد من انتشارها ومحاولة إعادة التوازن المادي داخل المجتمع.